

نفج الطيب من غصن الأندلس الرطيب

ما شاء غير ممثّل للعواقب ينتضي عزائم تنتضي فإن ألفت من الأيام مظلمة أضاً إلى أن أودى وغار منه الكوكب الأهدى فانتقل الأمر إلى ابنه أبي بكر فناهيك من أي عرف ونكر فقد أربى على الدهاء وما صبا إلى الطبية ولا إلى والمهارة واستقل بالهول يقتحمه والأمر يسديه ويلحمه فأى ندى ندى أفاض وأي أجنحة بمدى هاض فانقادت إليه الآمال بغير خطام ووردت من نداه ببحر طام ولم يزل بالدولة قائما وموقظا من بهجتها ما كان نائما إلى أن صار الأمر إلى المأمون بن ذي النون أسد الحروب ومسد الثغور والدروب فاعتمد عليه واتكل ووكّل الأمر إلى غير وكل فما تعدى الوزارة إلى الرياسة ولا تردى بغير التدبير والسياسة فتركه مستبدا ولم يجد من ذلك بدا .

وكان أبو بكر هذا ذا رفعة غير متضائلة وآراء لم تكن آفلة أدرك بها ما أحب وقطع غارب كل منافس وجب إلى أن طلحه العمر وأنضاه وأغمده الذي انتضاه فخلّى الأمر إلى ابنه فتلبدا في التدبير ولم يفرقا بين القبيل والدبير فغلب عليهما القادر بن ذي النون وجلب إليهما كل خطب ما خلا المنون فانجلوا بعدما القوا ما عندهم وتخلوا وكان لأبي عبد الله نظم مستبدع يوضع بين الجوانح ويودع انتهى المقصود من الترجمة .

وكان للوزير أبي الفرج ابن مكبود قد أعياه علاجه وتهياً للفساد مزاجه فدل على خمر قديمة فلم يعلم بها إلا عند حكم وكان وسيما ولحسن قسيما فكتب إليه .
(أرسل بها مثل ودك ... أرق من ماء خدك)